



MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN NAHAR
Date : 24-7-98
Photo No. : 266

حتى نغفر لأنفسنا ميشال سورا

بقلم سمير قصير

في النهاية سيجدون.

في "حرج القتل" او في مكان آخر قريب، لا هم، سيتمر "البحث" ايا تكن المهلة المحددة له. سيجدون رفات ميشال سورا لأن علم رياضيات الاشلاء، فخرنا الجديد بين الامم، لا يطرح على نفسه الا الاسئلة التي يعرف جوابها.

سيجدونه. وسيشحنون الرفات في طائرة تأخذها الى باريس وبعد حفل تأبين رسمي تلقى فيه كلمات دبلوماسية تراعي شعور الجميع ولا تعني شيئا. وسينتهي، او هكذا يأملون، الفصل الأخير من مسلسل العيب الذي بدأ ذات يوم من ايار ١٩٨٥ عندما خطف ميشال سورا مع مواطنه الصحافي جان - بول كوفلمان على الطريق بين المطار ومدينة بيروت.

ولكن لا، لا يجوز. لن يكون مقبولا ولا مسموحا، في بلد رفض حتى الان الخضاع نفسه إلى فحص ضمير، أن يمر هذا الحدث دون أن يسأل عنه احد، دون أن نسأل انفسنا عن مسؤولياتنا في ما اوصل اليه.

ليس المطلوب هنا محاسبة السجانين والقتلة جنائيا. ففلسفة العفو الذي اختارته الجمهورية الثانية سبيلا الى تمتين السلم الاهلي تستلزم طي الملفات القضائية كلها، وبخلاف ما نصت عليه حربية قانون العفو نفسه. غير ان اغفال المحاسبة القانونية بسبب هذه الفلسفة المتيقظة الى مستلزمات الخروج من العنف الاهلي (أو بسبب الانتماء السياسي للقتلة كما هي الحال في قضية

سورا) لا يعني غياب المحاسبة السياسية والمواطنة. وإذا كان الوسط الاصولي المتماهي مع المصالح "البيبي الثمانينات ومع غيرها من الحسابات الاقليمية الضيقة يتحمل العيب مصير ميشال سورا، فإنه ليس وحده في قفص الاتهام. العيب السياسية اللبنانية، والعربية بشكل عام، التي لجأت يوما إلى (والى من سيتذكى ويعيب علينا عدم ذكر اسرائيل في معرض نكتفي بالقول ان لا لوم على العدو، فهو العدو، ومقارنته واجبة في قفص الاتهام، اذن، كل من عزم على الا يرى في الآخر) كان أم بعيدا، كل من اغرق الفرد في عباءة الانتماءات المفروضا وجود الآخر الا جسدا للتعذيب او المقايضة او الاخفاء، في ممارسة يجب وضعها في مرتبة القتل الجماعي، حتى لو كانت قاعدة قردية. هي ممارسة الخطف التي اسدلت الستار، سنة حياة الآلاف من اللبنانيين (والسوريين والفلسطينيين) قبل أن الاجانب في اقبية الابتزاز الاستراتيجي. وهي، كالقتل الجماعي وللأخياء المدنية، ممارسة يثور عليها العقل بقدر ما تشمئز. يحصد الخطف مواطنين لبنانيين كانوا اقرب سياسيا الى الجهة الاجنبية التي خطفوا بسببها؟ ألم يفض سلاح خطف الاجانب التي الذي كان ربما الاكثر التصاقا بيروت، وتدنيدا "بيروت الغربية" ناهيك بطرابلس، وحقا غسان كنفاني، ودمشق، وطلب وحسن التونسية حيث ولد؟

تمة احراج كبير في التذكير بالمفارقة الأليمة التي جسدت الرهينة، والتي ما زال يرمز اليها ميشال سورا الضحية بعد قتي على نهايته التأسوية في مكان ما من ضاحية بيروت، كـ الوكالات. فميشال سورا لم يكن يستحق ان يعيش حرا في لأنه صادق العرب ودافع عن فلسطين وترجم كنفاني الاسلاميين. كان يستحق ان يعيش حرا بمجرد كونه انسانا. و يتغير شيء في افعال من انفعال بيننا لو كان اجنيا "عاديا" في ذاته دليل بين دلائل عدة على درجة الصمحية التي بلغتها عما كان يفترض ان يجعل ميشال سورا في منأى عن هذه مقتله من جراء ظروف الاعتقال لا يستنكر لأنه كان ابنا للبناني لهذه المنطقة من العالم فحسب. فهو لم يكن يستحق الموت لكنه بالتأكيد لم يكن يستحق الموت اكثر من غيره.

بيد انه لا يمكن الهروب من المفارقة في حياة ميشال سورا لم تكن تضيف شيئا الى امتحان كرامة الانسان الذي تشكلت تلغتنا على الاقل الى هذا الدرس اللاذع من حرب لبنان، لن وقتله ما هو في النهاية الا انتقاص من الذات.

لذا وجب طلب الغفران مرتين، مرة من ميشال سورا واصدقائه ورفاقه، فرنسيين كانوا ام عربا، ومرة من انفسنا.